المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى « ومنارا » كمنار الطريق

مصر سلخ ربيع الاول ١٣٣٩ ــ ١٨ القوس (خ ٣) سنة ١٢٩٩ هش ١٠ ديسمبر ١٩٢٠

فاتحة المجلد الثاني والعشرين

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحانك اللهم وبحمدك ، وتبارك اسمك ، وتعالى جدك ، وجل ثناؤك ، ولا إله غيرك ، لا نحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك ، فنحمدك بما حمدت به نفسك في كتابك ونصلي ونسلم على أنبيائك ورسلك : (الحمدُ للهِ وسلامٌ على عبادِهِ الذينَ اصطفى) ، وتحياته المباركات وصلواته الطيبات على خاتم رسله محمد المصطفى ، وآله المطهرين وأصحابه الحنفا ، وعلى من اتبع هديهم واقتفى ، (وَهُوَ اللهُ لا إلهَ إلاَّ هُوَ لَهُ الْحَمْدُ في الأُولَى وَالآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)

سبحانك اللهم وبحمدك ، حكمتَ فعدلت ، وقدّرت فهديت ، وانتقمت فقهرت ، فلك الحمد في السراء والضراء وحين البأس، لا قنوط من رحمتك ولا يأس ، فاسألك من رحمتك العامة للعالمين، ومن رحمتك الخاصة للمسلمين ، ووفقني اللهم للقيام في هذا المنار بالنصيحة الحق ، النافعة لكل من بلغته من الخلق ، ووفق اللهم أئمة هذه الامة وأمراءها، وقادتها وزعماءها، الى ما تخرجها به من ظلمات هذه الفتن الى النور الفائض من مطالع آياتك البينات ، المنبسط شعاعه على الخلق بسننك في سير البشر ونظام الكائنات ، ليعلموا أن الغلو في الدين، مضيعة للدنيا والدين، وان الغرور بالدنيا مهلكة للمغرورين ، وان سنة الله تعالى في رد الفعل الى سواء الصراط ، يتعاقب في سبيله التفريط والافراط ، (وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)

سبحانك اللهم وبحمدك ، أريتنا من آياتك في أنفسنا وفي الآفاق ما يتبين به الحق ، لمن زكت فطرته واستنارت بصيرته من الخلق، فوفقنا لمعرفة ما نراه منها في هذا الزمان ، معرفة اعتبار وحكمة وايمان، كما وفقت لذلك آباءنا الاولين ، وسلفنا الصالحين ، لنكون كما كانوا من الأئمة الوارثين ، الجامعين بين سيادة الدنيا وهداية الدين ، اذا أوغلنا في الدين نوغل برفق فلا نغلو غلوّ المغرورين، واذا حكمنا بين الناس نحكم بالعدل فلا نعلو علوّ الجبارين ، واذا تصرفنا بما أحللت لنا من الزينة والطيبات من الرزق نتصرف تصرف الشاكرين ، فلا نستأثر بالنعمة أَثَرَةَ المسرفين ، الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون ، (يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ)

سبحانك اللهم وبحمدك ، أريتنا آياتك فإن جحدها أقوام فقد عرفناها وما نحن لها بجاحدين ، وعرفتنا نعمتك فإن يكفر بها الأكثرون فما نحن بها بكافرين ، وقد أنزلت عقابك الحق بالباغين الجبارين ، وبالمترفين المسرفين ، وبمن ذل لكبريائهم ودان لطغيانهم من الجاهلين المفرطين ، فاجعل اللهم ذلك عبرة وموعظة لنا ، ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا، وارفع اللهم مقتك وغضبك عنا، فقد آن أن يستدير الزمان، ويتجدد إعجاز القرآن ، فيتوب الفاسقون ، ويوقن المرتابون، ويؤمن الجاحدون (الٓمٓ ، غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ . لِلهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ، وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ المُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ وَعْدَ اللهِ لاَ يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ٭ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ)

سبحانك اللهم وبحمدك . أريتنا من جهل أعلم الناس بشؤون خلقك ، ما أقمت به الحجة البالغة على صدق قولك وإحاطة علمك ، فقد غلبت الروس الذين كانوا يعدون الخطر الأكبر على الإسلام ، كما غلبت الروم في عهد ظهور النبي عليه الصلاة والسلام ، ثم غلبت الشعوب الجرمانية ، وظهر جهلها بما كانت به أعلم الشعوب من الفنون الحربية، ثم ظهر جهل أعلم الأقوام بجمع الثروة وحفظ المال فكانوا من الخاسرين ، وظهر جهل أعلم الأمم بشؤون الإدارة والاستعمار فكانوا من الخائبين (ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ)

سبحانك اللهم وبحمدك أنت الواحد القهار، مكور النهار على الليل

ومكور الليل على النهار ، الكبرياء رداؤك ، والعظمة إزارك ، من نازعك فيهما قصمته ، وقد صرفت عن آياتك الذين يتكبرون في الارض بغير الحق ، مغترين بما استدرجتهم به من شدة القوة وسعة الرزق ، فلم يعتبروا بما حل بمن قبلهم ممن كانوا أشد منهم قوة ، ولم يتعظوا بما أنزلت من آيات الوحي وشرعت من هدي النبوة ، . . . .

. . . . واجعل ذلك تربية للمستضعفين المتفرقين ، وتمهيد لإيامك سلاما ورحمة لجميع العالمين، يعلو بها الحق على الباطل، ويقضي بها العدل على الظلم ، ويغلب القصد والاعتدال والايثار ، على السرف والاثرة والاستكبار ، فقد ضاق البشر ذرعا بطمع الاغنياء المسرفين، وطغيان الرؤساء الجبارين ، الذين طغوا في البلاد فاكثروا فيها الفساد ، واستكبروا على العباد فاستعبدوا الجماعات والشعوب للافراد، (أفأمِنَ أهلُ القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون ؟ أوَ أمِنَ أهلُ القرى أن يأتيهم بأسنا ضحًى وهم يلعبون ، أفأمنوا مكر الله ، فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون * أوَلم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون) ؟

لقد انذرنا أكابر الساسة في مثل هذه الفاتحة منذ عامين، أن ترك تنفيذ قواعد العدل العام وحرية الامم لا بد لها من احدى العاقبتين ، بقولنا: إن لا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير ، وانقلاب بلشفي شره مستطير، أو تعود الحرب جذعة، بهذه السياسة الخدعة الخبيثة الطامة (والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور ، فلا

تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور) وقد صدقت الآيات ولم تغن النذر، واتبع المنذرون أهواءهم وكل أمر مستقر، فهذه الارض تضطرم بنيران الفتن والفساد، والانقلاب البلشفي كل يوم في ازدياد، وإنما هو شر على منهومي المال، ومستعبدي الاقوام ومذلي الاقيال، وقد يشقى ناس فيسعد بشقائهم آخرون، وتثل عروش قرى عاتية فيرثها قوم آخرون، (أهم يقسمون رحمة ربك؟ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة ربك خير مما يجمعون * ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون . . .)

. . . . ان الناس لن يكونوا أمة واحدة، ولن تخضع الامم منهم لامة واحدة، ويا أيها المثرون المترفون، و«الرأسماليون» الطامعون، إن طلب الزيادة ينتهي بالوقوع في النقصان، وان السواد الاعظم من البشر لا يرضى أن يكون عبداً خادماً لافراد من الاعيان، وان سنة رد الفعل، سيكون لها القول الفصل، والحكم العدل؛ ولكن المجرمين يرون العدل عقاباً، والمساواة بين الناس عذاباً، فكيف اذا سبقه الجزاء على الظلم السابق، والافراط الماحق، وكان تنفيذه على المعاندين، بمثل القسوة التي كانوا يسومونها الضعفاء والمساكين؟ وان تبتم قبل أن يحاط بكم، فهو خير لكم، (لا تظلمون ولا تظلمون * ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون)

وأنت يا أيتها الامة الامية، التي عاودها الارتكاس في عصبية الجاهلية،

الى م هذا التفرق والانقسام، بعد تلك السعادة بالوحدة والاعتصام، وحتى م تلدغين من الجحر الواحد مراراً عديدة وقد حُذِّرتِ من المرتين، وسمعت النذر بالاذنين ورأيت العبر بالعينين ولمست العواقب باليدين؟ والى متى تغترين بالمظاهر والالقاب، وتدعين الفرص تمر بك مر السحاب،؟ تداعت عليك الامم كما أخبرك النذير، . . . .

اذ كان لهم منك أيّ ولي وظهير، ورأيت الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة، وابتغوا عندهم العزة والثروة فكانت كرتهم الخاسرة، لانهم خسروا بولايتهم الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين، وان كانوا عنه لمن الغافلين (فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُم زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِم فَرِحُونَ ٭ فَذَرْهُم فِي غَمْرَتِهِم حَتَّى حِينٍ ٭ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ ٭ نُسَارِعُ لَهُم فِي الخَيْرَاتِ بَل لَا يَشْعُرُونَ)

فيا قوم اني لكم ناصح أمين، على علم بالحق المبين، من هداية القرآن، وأحوال الزمان، أن لا تعبدوا الا الله، ولا تيأسوا من روح الله، (وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُم ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ، وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ) أخاف عليكم عذاب يوم القيامة الاولى، قبل عذاب يوم القيامة الاخرى، يوم الخزي والنكال، بفقد بقية الاستقلال، فقابلوا أولياء الشيطان، بما أمركم به الرحمن، من غير تحريف ولا تصحيف في القرآن، ولا تغرنكم أيمان أئمة ليس لهم إيمان، ولا يصدنكم عن آيات الله سبب ولا نسب، ولا رغب ولا رهب، ولا ورق ولا ذهب، فقد برح الخفاء وانكشفت الظلمة،

فلا يكن أمركم عليكم غمة ، (قل ياقوم اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون — من تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون)

وما لا أخص بالتذكير قومي وعشيرتي ، بهذا التذكير العام لجميع شعوب أمتي ، بما يشد أسر الجماعة ويضم عنها إصرها ، ويحكم أواصر الجامعة ويرفع لها ذكرها ، وهم لا يزالون أشد تلك الشعوب تخاذلا وتواكلا ، وأضعفهم تعاونا وتكافلا ، وأكثرهم تباغيا وتفاشلا ، وتماحكا وتماحلا بوأقلهم تحالفا وتناصرا ، وتضافرا ونظاهرا ، إتحد مسلمو مصر مع القبط فيما يفيد في الدنيا ولا يضر بالدين ، وتعاون مسلمو الهند كذلك مع الوثنيين ، وتناصر مسلمو الترك مع الروس اعدى أعدائهم الأولين ، ولكن تعذر الاتفاق في الجزيرة بين أبناء الدين الواحد ، واللغة الواحدة والوطن الواحد ، كما تعذر الاتحاد في قطر آخر بين السهل والجبل ، بل بين بلد وبلد ، ولولا أن هذه الأمة مرحومة لأبسلت بذنوبها ، وهلكت بتفريطها في أمرها ، ومن رحمة الله بها أن باب التوبة لا يزال مفتوحا في وجهها ، وان مسالك النجاة ما فتئت مرجوة لها ، فما عليها الا أن تأتي البيوت من أبوابها ، وتطلب المسببات من أسبابها ، بتغيير ما أوقعها في سابق غرورها ، والتواكل في أمورها ، والاتكال على أيمان مبيرها . (ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وان الله سميع عليم ۝ كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وكل كانوا ظالمين ۝ ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون ۝ الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون) فتدبروا سائر الآيات — (وانتم

لا تعلمون ٭ هذا بصائر للناس وهدًى ورحمة لقوم يوقنون)

استدار الزمان، ووقع من التطور الاجتماعي ما لم يكن في الحسبان، وسيندك ما بقي من صروح الاستبداد، وينطلق سائر المستعبدين من مقاطر الاستعباد، بفضل التضافر والتظاهر والاتحاد . . . .

. . . . وانما الذل والهوان، والخزي والخذلان، والبغي والعدوان، على أهل النفاق والدهان، والمتفرقين في المذاهب والاديان، والمتمادين في الزعامات والبلدان: والمغرورين بالعهود والايمان. والقوانين وحقوق الانسان، والمخدوعين بكلم العدل والمدنية، والمساواة والحرية. والرحمة الانسانية. وانما المعاهدات، حجج الاقوياء على الضعفاء، ولا وجود للعدل والمساواة، الا حيث العجز عن الظلم والمحاباة، ولا حق في الحرية، ولا في الرحمة الا لذوي الايد والجرمة؛ والعاقل لا يظلم فكيف اذا كان أمة[1] على أن قاموس السياسة تكثر فيه اسماء الاضداد، فلا تنافي فيه بين التحرير والاستعباد، ولا تضاد بين الحماية والاستقلال. ولا تناقض بين الاساءة والاحسان، ولا تعارض بين الكفر والايمان (يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون ٭ كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الاً ولا ذمة وأولئك هم المعتدون)

تبا للمنافقين المتملقين. وسحقا لليائسين المستسلمين. وبعدا للفاسقين الخائنين. وطوبى للراجين العاملين. فرب خوف أعقب الرجاء. ورب عداء انتهى بولاء (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم. والله يعلم وانتم لا تعلمون)

منشىء المنار ومحرره
محمد رشيد رضا

(١) هذه الكلمة لموقظ الشرق الحكيم السيد جمال الدين الافغاني